



حلمتُ أنني في طريقي إلى قمة جبل قائم خلف  
بيتي الريفي عند سفح الهضاب، للتمتع بمنظر  
شروق الشمس وللإصغاء لنداء طائر السمّن.

واصلت السير إلى أن استرعى انتباهي رجلٌ  
صغير كان يجلس تحت شجرة جوز بري.

لاحظت أن الشيب قد وخط شعره فأضفى عليه  
مشحات فضية تشي بأنه قطع شوطاً من العمر لا  
بأس به. أما وجهه فكانت عليه مسحة من براءة  
الأطفال.

ابتدرته بالتحية، قانلاً: "صباح الخير".

فأجابني مبتسماً: " كل صباح هو صباح خير."

قلت: "من المؤسف أن النهار يعقبه ليل."

فردّ ذلك الرجل الصغير الغريب: " الليل جميل كالصباح، ورائع كالظهيرة."  
عرّفته بنفسه فقال:

"إسمك يخصك ولا يمكن أن تحصل على إسم أفضل منه."

قلت: " وهل لي أن أعرف إسمك؟"

أجاب: " لديّ أسماء كثيرة، ولا إسم لي. نوديت بالعديد من الأسماء، لكن ما من واحد  
منها يصفني على حقيقتي أوفصح عن هويتي."

سألته مستعلماً: "وكم مضى على وجودك في هذا المكان؟"

أجاب: "من قبل أن يفكر الناس بالزمان والمكان."

قلت: "وكم تتوقع أن تبقى هنا؟"

أجاب: " إلى أن يكف الناس عن العيش في الزمان والمكان."

قلت: " ألا تشتهي زيارة أماكن أخرى؟"

قال: "فقط عندما يتمكن أحدهم من إقناعي أن هناك أفضل من هنا، وأن الآتي أفضل  
من الآتي."

دعوته قانلاً: " هلاً رافقتني إلى المدينة؟ فالناس بحاجة إلى حكمتك!"

أجابني ببساطة: "وماذا سأقول أو أفعل لهم؟"

قلت: "باستطاعتك تقويمهم."

أجاب: "أظن أن لديهم ما يكفي من مقومين، كما أنني لا أعتقد أنهم بحاجة إلى تقويم،  
لأن الله سبحانه خلقهم بداية في أحسن تقويم، وبما أن الكمال لا يخضع للنقصان، فلا  
حاجة لهم في التقويم."

قلت معترفاً: "ربما كنت مُحققاً فيما تقول، لكن معظم هؤلاء أموات، وهم بحاجة إلى

من يوظفهم ويعرفهم بأنهم في أحسن تقويم."

أجاب: "إن كانوا أمواتاً فمن القسوة إيقاظهم، لأن الموتى لا يشعرون بالألم."

توددت إليه قائلاً: "حتى وإن لم تكن لديك من رسالة لأهل مدينتي، تعال معي على أية حال وستكون زيارتك مُجدية ومجزية، ففي المدينة كنوز لم تحلم بها ولم تخطر لك على بال، حتى وإن كنت تظن أنك سيد الأحلام. ستجد حُباً وجمالاً وموسيقى ودراما وكتباً رائعة، وما لا يقع تحت حصر من معجزات العلم."

وما أن انتهيت من مخاطبته حتى سقطت ورقة من الشجرة، فتهافت في الفضاء ثم حطت في حضنه. أمسك بها للحظات ثم قال:

"هل تعتقد أن علوم الإنسان قادرة على تليل كل أسرار الحياة المتصلة بهذه الورقة؟" فتح يده فسقطت الورقة بصمت على الأرض. ثم ابتسم وأسبل عينيه.

## لماذا يا أخي؟

لماذا أنت حزين يا أخي؟  
الحياة لم تجلب سوى بضعة أيام سعيدة في سلتها  
التي ستفرغ محتوياتها يوماً بين يديّ الموت الباردتين.  
فاستقبلها كل لحظة بوهج قلبك الدافئ  
قبل أن يُظلم الليلُ وجهها ويغلفه بصمت القبور.  
لماذا أنت منزعج يا أخي؟  
فيد الله العادلة تجود مجاناً بثروة الهواء والنور  
على السعداء والبانسين، بنفس المقدار!  
بأي مبلغ يمكن شراء ذهب ساعات الغروب  
أو أغاريد الطيور في خميلة الصباح؟  
فإن أساء أحدهم فهمنا، ألا يمكننا مسامحته  
إكراماً لهدايا الصفح التي تنهمر علينا  
من الفجر حتى الفجر؟  
لماذا أنت خائف يا أخي؟  
هلا وزنت دموعك وابتساماتك  
أو أحزانتك ومسراتك  
في ميزان الحياة؟  
أليس وجه النهار أكثر إشراقاً  
من حجاب الليل؟  
أليس بسمات الأطفال أكثر سحراً  
من دموعهم القليلة ومن بكانهم؟  
فابتسم يا أخي ما دام النهار ضيفاً على بابك،  
لأنه عندما يحل الظلام ويخيم الليل  
ستغمض الزهور أعينها

وستغفو الطيور المغردة

على سرير النسيان.

\*\*\*

أحياناً أسير على الدروب

وأتفرس في عيون من أقابلهم..

فأرى وجوهاً تبدو خالية من أي هم

وأرى بعض وجوه حفرت أعباء الحياة

على صفحاتها خطوطاً يصعب محوها.

قد لا أتمكن من معرفة قصص أحزانها..

قد يكون طائر الحب هجر روضتها

بعد أن كان يرفرف فوق رياحيتها والورد..

أرى معرضاً لا ينتهي من الوجوه

بشتى النظرات والتعبيرات..

كلها تمر أمامي في مراجعة سريعة خاطفة.

أجل.. فمشاهد الحياة، بفصولها وأطيافها وأسرارها

دائمة العرض على شاشة الوعي

يعاينها المبصرون

ويسمعها من يحسن الإصغاء.

\*\*\*

## إن أردت التحكم بحياتك

واجه الواقع.. فالهروب لا يجدي نفعاً

ولا تجاهل المشاكل يحلها.

اعرف مقدار قدرتك ومدى مسؤوليتك.

لا تسمح للهيم بالسيطرة عليك

فهو عادة فكرية سيئة ومضرة بالصحة.

الهيم يمؤه ذاته.. فيأتي بصورة الواجب

لكن أساسه الخوف

والخوف يسمم العقل والجسم معاً.

تطلع إلى الأمام.. كن متفانلاً

فنجاحك غير مرتبط بأحداث السنة الماضية

ولا بما سيحصل هذا العام..

إسأل نفسك ما ستكون عليه بعد خمس أو عشر سنوات من اليوم.

طبعاً الجواب يتوقف عليك.

تجلّد ولا تفقد عزيمتك..  
فتسعة أعشار الشجاعة تكمن في قوة الإحتمال.  
فكّر أفكاراً إيجابية.  
لا يمكننا وقف التفكير،  
لكن باستطاعتنا تغيير مسار تفكيرنا.  
واصل العمل.

**المصدر: Inner Culture Magazine**

**الترجمة: محمود عباس مسعود**